

## الفصل الحادى عشر

### الحجامة



مارس الحجامة منذ القدم البابليون والصينيون والمصريون لعلاج بعض الأمراض استخدموا خلالها كؤوسا معدنية وأشجار البامبو وقرون الثيران، وكان العلاج يتلخص فى امتصاص الهواء من داخل الأداة المستعملة ووضعها على الجلد. ممارسة أدت لكاسات الهواء فيما بعد وتدرجت هذه الممارسة إلى علاج الدامل وسحب الدم الفاسد بها ومن التقيحات المختلفة أيضا وتمارس الحجامة حاليا على مراكز الطاقة فى الجسم، وتقتضى ممن يمارسها معرفة الأوعية الدموية لممارسة فصد الدم من العروق، كما يمارس الكى أيضا على مراكز معينة و يجب أن يكون الطبيب الممارس لعمليات الفصد على دراية تامة بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها، وهذا ما سبقه المصرى إليه.

وتم حاليا تحديد مواضع الفصد فى أربعة وثلاثين وريدا: اثنا عشر فى الرأس، واثنا عشر فى اليدين. وثمانية فى الرجلين كعرق النساء، ثم وريد الكوع مع الزند، ووريد الأسيلم. وقد ذكر المصرى القديم: «دليل الإنسان لكل مرض: يوجد عنده فى رأسه ٢٢ وعاء تسحب النفس إلى قلبه، وهى تعطى النفس إلى ذراعيه».

«وعاءان فى ثدييه هما اللذان يعطيان الحرارة إلى الشرح، ربما المقصود الشريانان تحت الترقوة. د. حسن كمال» «يوجد وعاءان فى فخذيه»، ووعاءان فى عضده، ووعاءان بمؤخرة رأسه. ووعاءان فى جبينه، ووعاءان فى أنفه، ووعاءان فى أذنه اليمنى ووعاءان فى أذنه اليسرى. وكلها تتجه إلى قلبه وتتفرق فى أنفه وتجتمع فى دبره». وترجع هذه النظرية إلى أكثر من ٦٠٠٠ عام، كما أشير إلى الحكيم نثر حوتب، وهو زمنيا أقدم من أمحتب.





العلاج بالحجامة

ويعتبر العلاج بالحجامة cupping، من أقدم السبل العلاجية الذى مارسه المصرى القديم، فقد عثر على بعض الدلائل على هذه الممارسة فى مقبرة توت عنخ آمون، كما تبرز النقوش الواردة على جدران معبد كوم أمبو التى تسجل بعضا من الأدوات الجراحية للمصرى القديم، كأسا تستعمل فى هذا الغرض، وقد عثر على بعض هذه الكؤوس فى المقابر وكانت هذه الكؤوس مزودة بثقب فى طرفها لص الدم بالقم

وسحب هذا الدم الفاسد من تحت الجلد وقد مارسه المصرى، ونقله عنه الكثيرون، منهم أهل جزيرة كريت والرومان، وتنتقلت الممارسة حتى بلاد الهند والصين.

ومارس الأوروبيون هذا العلاج عن طريق ديدان معينة لسحب الدماء الفاسدة من الجسم. وتمارس الحجامة الحالية بوضع كأس الحجامة على النقطة المستهدفة مدة تتراوح بين دقيقتين إلى أربع دقائق، وتكرر العملية حتى يحمر وينتفخ المكان المستهدف، ثم يشرط المكان ويمص الدم برفق.

واهتم الطبيب المصرى القديم بالتسمم الصديدي وعلاجه أيضا لأهميته فى تحقيق الشفاء، فقد أورد الطبيب أن الخراييج والدمامل هى نوع من التسمم الدموى الصديدي. وعالج أيضا حالات التقيح والتجلط الدموى، واهتمامه بأمراض الدم وردت فى البرديات، ففى بردية هيرست سجل الطبيب الوصفات العلاجية لابعاد مرض الدم من أى عضو بالرجل أو المرأة، ولإزالة تكوين الدم الذى لم يكن قد تجلط، وعلاج لأى شىء يتواجد من نفسه. وهناك وصفة لإخراج أمراض الدم: ويقصد هنا الصديد الذى استعمل لإخراجه المواد القابضة مثل الكندر وبعض النباتات القلوية منعا للتسمم الصديدي الذى اقتنع الطبيب المصرى بأهمية علاجه، وكان الخراج فى مفهومه مرضا يندرج تحت مسمى التسمم الدموى الصديدي، وأن التقيح بصفة عامة هو مرض يصيب الأوعية الدموية، والعضلات، كما يعتبر التجلط الدموى والجروح وما ينتج عنها نوعا من التسمم، ولإزالة الماء من الإفرازات، أوصى الطبيب بضمادة من خبز نبق كى يجف الجرح ولا يتقيح، وللدّم الأكال بصل ودهن ثور.



وكانت الدمامل والخراييج تعالج باللبخات حتى تفتح، ثم يخرج محتواها بالطرق المختلفة حتى تشريط الجلد لإخراج المحتوى الضار من الدم، لقد اجتهد الطبيب المصرى فى قهر الألم والقضاء عليه بكل السبل الممكنة، وتوارث الكثيرون هذه المهمة وابتكر المبتكرون العلاجات المختلفة تحقيقا لنفس الهدف.

وفسر الطبيب المصرى المرض كنتيجة لما أسماه بالأخدو أى المادة المسببة للألم، واعتقد أن الأوعية هى التى توزع هذه المادة التى تنتقل من الأمعاء للأوعية الدموية ويتفاعل مع الدم فيتحول لصديد، وتحدث الحمى للمريض كنتيجة لهذا التفاعل وتتزايد ضربات قلبه، ويتحول الأخدو فى النهاية لجلطات دموية تتسبب فى مرض الأعضاء المختلفة، وهنا لا يتمكن الدم من تسهيل وظائف أعضاء الجسم. واعتقد الطبيب أن مصدر الأخدو هو براز المريض الناتج عن فائض الطعام. لذا فإن عملية فصد الدم الفاسد من الأوعية الدموية قبل أن يتجلط هو نوع آخر من الوقاية من الأمراض venesection. ورد هذا المعنى فى حالة الأذن عندما ذكر الطبيب لعلاجها: «يجب عليك أن تقطع أحد جانبي الأذن حتى لا يتجمع الدم فى جهة واحدة، حذار أن تجعله يتقيح». وقد أطلق على الجهاز الدموى «الجهاز الآدمى الموصل حيث تنشأ كل الأمراض».

وقد تمكن الطبيب المصرى من التمييز بين الشرايين التى تنقل الدم من القلب للأنسجة وبين الأوردة التى تنقل الدم للقلب. «هناك أوعية تخرج منه لكل عضو»، يضع يديه على الرأس أو على اليدين، أو على المعدة، أو على الذراعين، أو على القدمين، فإنه بذلك يفحص القلب، لأن كل أعضائه تحتوى على أوعيته، إنه يتكلم عن طريق أوعية كل عضو.

ويصف الطبيب المصرى هنا الشرايين، فقد ذكر الشريان الصدغى وشريان مؤخرة الرأس والشريان الكعبرى، والأورطى، والشريان العضدى، وشريان ظهر القدم، وقد أطلق على ما سبق «مبدأ سر الطبيب معرفة حركة القلب».

واللجوء للشربة والمقيئات مساو لعمليات فصد الدم من حيث تفادى انتشار الأمراض فى الجسم، إنه نوع من الوقاية والعلاج فى آن واحد.

وقد ازدهرت عمليات الحجامة وفصد الدم عند الإغريق فيما بعد على نطاق واسع تطبيقاً لنظريتهم فى الأخلاط والأمزجة أى مزج العناصر الأربع فى الجسم وهى النار والهواء والتراب والماء، التى يرمز كل عنصر منها للطبيعة، فالنار هى الدم، والمرارة السوداء، والتراب، بينما البلغم هو الماء، والمرارة الصفراء هى الرطوبة.

وتحتوى كتب أبقراط وصفاً دقيقاً لممارسات فصد الدم، والكى، والحجامة تطبيقاً لنظريته عن الأخلاط الأربعة والمقصود بها سوائل الجسم المختلفة وهى الدم، والمرارة الصفراء، والمرارة السوداء والبلغم. كما ذكر جالينوس أيضاً عملية فصد الدم والحجامة، حيث اعتقد أن صحة الجسم تتوقف على التوازن بين هذه السوائل الأربعة، واعتقد أن كل سائل من هذه السوائل يرمز إلى عنصر من عناصر الطبيعة.

وجالينوس من مواليد عام ١٥٠م فى مدينة برجاموم. وهو من حدد أن الأعصاب تبدأ من المخ، وتعرف على العضلات التى سبقه المصرى فى معرفتها كما ورد على تماثيله ونقوشه المختلفة، واعتبر متخصصاً فى التشريح فى مدينة الإسكندرية.

وقد اتخذ القائمون بالعلاج بتسريب الدم أو الفصد من هذه النظرية تفسيراً علمياً لطريقتهم العلاجية حيث اعتقدوا أن تسريب كمية من دم المريض يمكن أن يحقق التوازن المطلوب الذي ذكره أبقراط، مما يضمن بالتالي تحقيق الشفاء. فالحجامة تفيد من ناحية تنقية الدم من الأخلاط وكرات الدم الهرمة التي تعوق تدفقه لخلايا الأعضاء المختلفة.

وقد حدد أبقراط ٤٦٠ - ٣٧٧ م الذي نشر عملية فصد الدم خلال العصر الكلاسيكي، أن فصد الدم يحتل المكانة الأولى لداواة قائمة طويلة من الأمراض بدأ من الصرع والسكتة الدماغية، إلى الالتهاب الرئوي وآلام الأعضاء المختلفة للجسم. وكانت العملية تجرى على الذراع وغيره من أجزاء الجسم المتصلة بالعضو الملتهب أو الذي يشكو الألم.

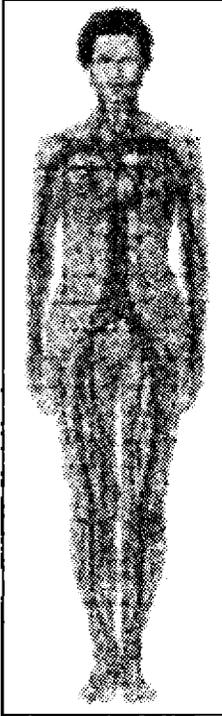
وتعمل الحجامة حالياً على النقاط الخاصة برود الأفعال التي تحدث دورة تبدأ من مركز الإحساس المتواجد بالإصبع وتنتهي بانكماش العضلة، وتعرف هذه الدورة بقوس الفعل المنعكس، ومعظم الأفعال المنعكسة لا إرادية.

ويتولى الحبل الشوكي ترجمة الإشارات الحسية التي يستقبلها إلى إشارات حركية يرسلها إلى العضلات فتتكشف أو تنبسط، كما يرسلها أيضاً للغدد فتكثر أو تقلل من إفرازها.

وإحداث التوازن الداخلي للجسم هو هدف العلاجات المختلفة والذي تتحكم فيه أجهزة الأعصاب، الجهاز العصبي السمبثاوي النابع من الحبل الشوكي وأجزاء الجسم المختلفة والخاصة بحركة الأحشاء، والجهاز العصبي الباراسمبثاوي الذي يعمل بين المخ وأعضاء الجسم كالعين والغدد العنابية والقناة الهضمية والمثانة.

والحجامة أسلوب علمي حديث للتخلص من الألم طبقاً لنظرية برومرز؛ فهناك نقاط بالجسم ذات مؤثر مسكن على الأعضاء، ويتم هذا بأن تحرك الغدة النخامية خلايا الجسم لإنتاج مادة الأندورفين المخدرة التي تعرف كمادة كيميائية تأثيرها مشابه للمورفين، وهو مسكن يمنع الإحساس بالألم ويزيد من القدرة على تحمله.

وقد ذكر د. هاني الغراوى في كتابه عن الحجامة: «يوجد أكثر من مائة موصل عصبي تحت الدراسة حتى الآن يعتقد أن لها علاقة بما يحدث من تسكين الألم في حالة الحجامة مثل المورفينات الداخلية والأندوفينات، وهو الاسم الذي يطلق على كثير من هذه المواد، والتي تفرز على شكل جزء طويل من البتاليبيروتين يتكون من ٩١ حمضاً أمينياً يسمى بيتا إندورفين الذي يقوم بالدور الرئيسي في تسكين الألم، وعند حقنه في الوريد يكون له مفعول مسكن سريع، ويوجد نوع آخر من الإندورفينات يسمى ألفا إندورفين، ولكن مفعوله المسكن أقل إذا قورن بالبيتا إندورفين. وتعرف الإندورفينات التي تفرز من الغدة النخامية بالإنكافالين، وطبقاً لنظرية برومرز، فإن الإنكافالين المفرز يقوم بالالتحام مع مستقبلات الألم في النهايات العصبية،



الجهاز العصبى للجسم

مما يؤدي إلى تقليل الجهد الممارس على النهاية العصبية وتقليل التوصيل، وبذلك تسافر الإشارات العصبية المؤلمة بشكل بطيء جدا وتقليل أيضا، كما تستقبل الخلايا العصبية المستقبلية للإشارات موجات أقل وإحساسا أقل وتكون النتيجة النهائية انحسار موجة الألم وتراجع الإحساس به.»

وتمارس الحجامة طبقا لنظرية أخرى تعرف بنظرية ملزك و وول، ويطلق على هذه النظرية: نظرية بوابة التحكم فى الآلام التى تعتمد أساسا على إثارة وتحفيز مواضع الألم، إذ إن الإحساس بصفة عامة ينتقل عن طريق موجات عبر نقاط متعددة توجد فى مسار الجهاز العصبى وعند نهايات الألياف العصبية الدقيقة الذى ينقلها بدوره إلى الحبل الشوكى، وأول من نشر هذه النظرية هو ملزك الذى يؤكد أن هذا يتم على مستوى النخاع الشوكى فيما يعرف بنظرية بوابة الألم. وقد أكد الأستاذ الدكتور محمد كمال عبد العزيز أستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر، بالقاهرة، أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى، أو النخاع المسنطيل، أو فى المخ المتوسط، وبمقتضى هذا الاشتراك، فإن أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم، يؤثر فى الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد. وهو ما يعرف برد الفعل الانعكاسى.

وعندما يصل التنبيه إلى المخ عن طريق الأعصاب فإن المخ يترجم هذا التنبيه حسب مصدره ونوعه، أى يحدد نوع التنبيه، ألمًا كان أو لمسًا، حرارة أو برودة. ولكن إذا وصل عدد التنبيهات التى تصل إلى المخ فى وقت واحد إلى عدد كبير، فإن المخ لا يستطيع التمييز بينهم، وعندئذ يتوقف عن العمل، فيلغى الشعور من المنطقة التى زاد فيها عدد التنبيهات.

وفى حالة الحجامة، تخرج التنبيهات من نهاية الأعصاب فى المنطقة التى تمارس عليها الحجامة بأعداد كبيرة، فيقوم المخ بإلغاء الشعور من المنطقة ويزول الإحساس بالألم، وهذه النظرية مطبقه على كثير من أجهزة العلاج الطبيعى.

والأمر أقرب إلى تفسير الأطباء الأولين لقضية الأخلاط. فالطبيب المصرى القديم بنى معلوماته الطبية العلمية على الحقائق كما ورد فى بردية سميث التى هى مجموعة حالات جراحية تشكل أبحاثا جراحية لحالات ملموسة، وبردية إيبيرز التى تتعامل مع معظم الأمراض التى تصيب الجسم البشرى والتى تعامل معها الممارس المصرى بكفاءة علمية عالية. فلم يكن يمتلك الأجهزة

الحديثة للفحص، واستعاض عنها بحواسه ودقة ملاحظته والتفكر في السبل الناجحة للعلاج والقضاء على الألم.

وقد ذكر ذلك أبقراط بقوله أن الفراعنة قسموا الطب إلى نوعين طب الصوم وهو الامتناع عن أكل بعض الأطعمة، وطب الإخراج أو طب الحجامة عن طريق فتحات يحدثها الطبيب في الجلد. «علاج لجعل ندبة الحرق تسود: مغرة حمراء، تصحن مع لبن الجميز، حنظل، أوتيت الظرت أو الحنظل، يصحن ويضمد به، بعد ذلك اعمل قطع الطبيب physicians cutting أى التشريط، كرات مدهوك، فاكهة بسلة، ويضمد به.

والحجامة الحديثة تثبت من المنظور العلمى ما مارسه الطبيب المصرى من فصد الدم تحت الجلد، إذ إنه بتحليل الدماء المستخرجة بالحجامة، وجد أنها تحتوى تقريبا على عشر كرات الدم البيضاء، بينما كرات الدم الحمراء المستخرجة تعتبر كرات هرمة لا تصلح كمكون حيوى للدم. والحجامة تبقى الحديد داخل الجسم دون أن يخرج مع الدم المسحوب، تمهيدا لاستخدامه فى بناء كرات دم فتية وجديدة، كما أن الكرياتينين المتواجد فى دم الحجامة مرتفع، مما يدل على أن الحجامة تسحب كل الشوائب والفضلات والرواسب الدموية. ويؤدى هذا إلى زيادة نشاط كل الأجهزة والأعضاء.

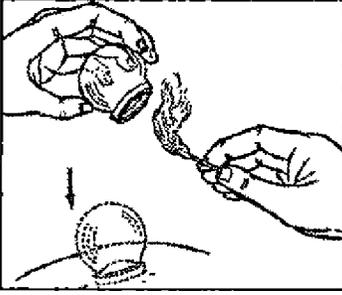
ومن المعروف أن جسم الإنسان يتوقف عن النمو بعد سن العشرين، فتركز كرات الدم الهرمة فى منطقة الكاهل أعلى الظهر لعدم وجود مفاصل متحركة ولكثرة الشعيرات الدموية. وعرف الصينيون الحجامة التى لخصوا مبدءها الرئيسى فى تحقيق التوازن بين كل من الين واليانج، إذ إنه، طبقا للعقيدة المعروفة بالطاو Tao، فإن الطاقة الكونية هى التوازن بين هذين العنصرين، والدم فى الطب الصينى، هو المادة الحيوية التى تتكون من روح الطعام، الذى تهضمه المعدة وتوزع خلاصته بواسطة الطحال، أما القلب فهو المحرك الرئيسى للدم والعروق، أما الكبد فهو يضمن الانسياب الحر للدم ويخزنه ويحافظ على حجمه.



آثار لعملية شقظ  
الدماء أثناء الحجامة

وتعرف مواضع الحجامة فى الطب الصينى بأنها مواضع خاصة على الجلد يتم من خلالها نقل الطاقة الحيوية من الأعضاء الداخلية المختلفة إلى الجلد وبالعكس، ومعناها الحرفى فى اللغة الصينية هو النقل من البئر. وتعتبر عملية شفط الدماء أثناء الحجامة حثا للطاقة الحيوية على الصعود إلى سطح الجلد، وهنا يتم التعادل والتوازن ما بين الين واليانج الذى ينعكس بصورة مباشرة على عمل العضو المريض. وأكدت الدراسات الحديثة أن الحجامة فى الطب الصينى تعتبر من أفضل الطرق لإحداث الاسترخاء فى العضلات العميقة.

وتذكر بردية إيبرز حالة كدم ناز haematoma، «تعاليم خاصة بنز من وعاء بأى عضو: ...»



عملية تفريغ الكاسات من الهواء قبل وضعها أعلى الظهر في حالة الحجامة الجافة التي كانت تمارس في مصر إلى وقت قريب حتى القرن العشرين.

ووجدته أحمر ضاربا إلى الزرقة ومحدبا hemispherical. نتيجة ضربة عصا فبعد عمل سبع عقدات... اعمل له العملية بغاب سوت الذى يستعمل فى العمليات، فإذا نزع كثيرا اكوه بالنار ثم عالجه علاج سحيم».

وهناك أنواع من الحجامة، فالحجامة الجافة تستلزم وضع الكاسات على سطح الجلد فيخرج الدم الممزوج بالأخلاط على السطح ويضع الألم أما الحجامة الرطبة فتختلف عن الجافة بأن يحدث الممارس تشريطا خفيفا بالجلد يؤدي إلى إخراج الدم، وهذه العملية تختلف عن فصد الدماء ويحدد لون الدم الحالة المرضية للمصاب، فإن لم يخرج دم من الحجامة فهذا دليل على عدم اعتلال

العضو، وإذا خرج دم أحمر فهو دليل على سلامة العضو أيضا، أما إذا كان الدم أسود، فهذه إشارة إلى وجود أخلاط بالدم وتفيد الحجامة فى حالات متعددة منها الصداع المزمن، الآلام الروماتيزمية، تيبس المفاصل والروماتيزم، بعض حالات الضغط المرتفع وغيره ولأهمية الحجامة تدرس الآن بالجامعات الأمريكية وتعتبر علاجا للعديد من الحالات فى معظم العواصم العالمية تحت مسمى الطب البديل أو العلاج الطبيعى وتستخدم علاجات الإبر الصينية نفس الخريطة على مراكز الجسم، ولكن الفارق بين الممارستين هو أن الحجامة تحرك الدورة الدموية بخلاف تنبيه مراكز الإحساس التى تحدثها أيضا الإبر الصينية.

وقد أكد د. أحمد عبد السميع، رئيس قسم الكبد بمستشفى مصر للطيران: «إن الحديد يوجد فى جسم الإنسان على هيئات مختلفة، منها هيئة الجزيئات الحرة وهى تسبب أكسدة للخلايا فتقلل من مناعتها ضد الفيروس لذلك وجد أن المرضى الذين يوجد لديهم نسبة عالية من الحديد فى الدم تكون استجاباتهم للعلاج أقل من غيرهم. وبعد ذلك أثبتت الأبحاث أن إزالة كميات من الدم من هؤلاء المرضى بصفة متكررة يساعد فى تحسن نسب الاستجابة للعلاج، والحجامة هى نوع من أنواع إخراج الدم أو التخلص منه، وهى معروفة منذ القدم وجاء النبى عليه الصلاة والسلام وأقرها. لكن يجب أن تجرى بطريقة طبية آمنة وتكون نظيفة ومعقمة والمطلوب من علمائنا الأفاضل بدلا من الهجوم على الحجامة، عمل دراسة طبية بالمعايير السليمة لإثبات كفاءة هذه الطريقة من عدمها. وبالنسبة للمرضى الذين عالجتهم بالحجامة أقول إن عددهم بسيط ولا يقاس عليه لكن النتائج كانت مذهلة فمرضى الكبد الذين يعانون من فيروس C ولديهم نسبة عالية من الحديد وارتفاع فى الإنزيمات.. والذين أجريت لهم عملية الحجامة بطريقة سليمة بصفة متكررة ازدادت استجابتهم للعلاج بعقار الانترفيرون والريبافيرين بعد أن كانت نسبة الاستجابة لديهم

تكاد تكون معدومة، ومن هنا نرى أن الحجامة يمكن بالفعل أن تساعد في العلاج جنباً إلى جنب مع المستحضرات الطبية، بل إنها في حد ذاتها علاجاً طبيعياً ليست له أية أضرار جانبية وأنا حين كنت في ألمانيا علمت أنهم يستخدمونها كإحدى وسائل الطب البديل». نشر في العدد ٢١٨ من مجلة الناس.

وضع الطبيب المصرى أسس معظم العلاجات وطورها البشر في الشرق والغرب، مما جعل من الحضارة المصرية القديمة حضارة إنسانية قاطبة التي تدرجت بالمعرفة واستزادت والطريق مازال مطروقاً في معظم المجالات وممهداً لمزيد من التطور ومزيد من المعرفة المستخلصة من الأبحاث لما كان متبعاً ولما سوف يكون مستقبلاً ولكن الإنسان المصرى أعلن منذ القدم عن محدوديته تجاه بعض المواقف، بالرغم من لجوئه إلى الأعشاب والمستحضرات الطبية المختلفة، إلا أن للأعشاب دوراً محدداً وهو تخفيف الألم، بينما السحر أيضاً قادر على الشفاء، فقد كان الاعتقاد السائد هو وجود قوى خفية قادرة على إحداث المرض. وهى الميكروبات والفيروسات التي لم يذكرها المصرى إلا بمسمى الأرواح الشريرة، فهى بالنسبة للطبيب المصرى طاقة تتغلغل في الجسم وتحث المرض ومهمة الطبيب تنحصر في الوقاية أولاً من هذه الطاقات المختلفة. ثم إبعادها بالدواء، وإذا ما استعصى العلاج، يلجأ لما عرف فيما بعد بأنه السحر.

ولكل من الدواء والسحر أهميته في العلاج كما ورد في بردية إيبيرز: «يعمل السحر مع الدواء كما يعمل الدواء مع السحر» ويتلخص هذا السحر في الأوراد المختلفة التي تتلى في مواضع محددة.

